# قراءة فلسفية في المعاد الجسماني والشبهات الواردة عليه

د. أياد نعيم مجيد

الموبايل : ٠٧٧٠٥٦٠٤٣٥٢

الايميل : ayadalsaadi630@gimail.com

كلية التربية / جامعة ميسان

**المقدمة**

المعاد هو المرجع والمصير كما جاء في كلام أمير المؤمنين ((ع)) (( الَحكَمُ الله والَعود إليه يوم القيامة )) أي المعاد. قال أبن الأثير هكذا جاء الَمعْود على الأصل وهو مَفعل من عاد يعود، ومن حق أمثاله أن ينقلب واوه ألفاً كالمقام والمراح ولكن استعمله على الأصل. تقول عاد الشيء يعود عوداً ومعاداً،
أي رجع وقد يرد بمعنى صار[١].

يعتبر المَعاد في جميع الأديان السماوية من الأصول المهمة لها. وأمّا مسألة إنكاره فإما لصعوبة قبول هذه المسألة عقلياً أو للتنصل عن المسؤولية والانغماس في اللذات والشهوات. وبما أن العقل في إدراكه محدود، كما يذعن في ذلك كل من الحكيمين ابن سينا و ملاصدرا[٢]، فهو عاجز عن إدراك جزئيات المعاد وما يجري في القبر والبرزخ والقيامة لأنّها خارجة عن حدوده. أمّا حكماء المسلمين فقد سعوا إلى إدراك تلك المسألة عقلياً، ولكن لصعوبتها ومحدودية العقل فقد اختلفوا فيما بينهم حول المعنى المقصود من المعاد الجسماني، وإذا كان البدن المحشور عين البدن الدنيوي فما المراد بالعينية؟ حيث يعتبر هذا الاختلاف بين العلماء من أصعب مسائل الاختلافات التي يمكن

[١] - الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس في جواهر القاموس ، ج٨ ، ص ٤٤١ ، تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر ، دار الهداية ، ١٣٩هـ ق.

[٢] - أبو علي سينا، الاشارات والتنبيهات، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، نشر البلاغة، قم، ١٣٧٥ هـ ش، ص ١٩٤، وأيضاً صدر الدين الشيرازي، العرشية، انتشارات مؤسسة التاريخ العربي، بيروت –لبنان ،الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ ق – ٢٠٠٠م، ص ٣٣ .وأيضاً المبدأ والمعاد ، مكتبة المصطفوي ، الطبعة الأولى ، قم، ص ٢٢٢. وأيضاً شرح الهداية الأثيرية، مؤسسة المطبوعات الثقافية، طهران ١٣٦٦هـ ش، ص ٣٧٤. وأيضا تفسير سورة السجدة، مطبوعات اليقظة، قم، ١٣٦١هـ ش ، ص٣٧٤.

حلها. حيث أن النفس في النشأة الأولى تكون مع الجسم العنصري، وفي النشأة الثانية تكون مع الجسم المثالي البرزخي، وفي النشأة الثالثة عندما تصل النفس إلى التجرد التام وتبدأ الحياة العقلية، كيف تتحد مع البدن، وكيف يوجد هذا البدن؟ إن صعوبة هذه المسألة أدت بابن سينا أن يرفض قبول المعاد الجسماني عقلياً ويسلم به عن طريق الوحي[٣].

وأما بالنسبة إلى ملا صدرا فهو أول من أجاب عن هذا الموضوع فلسفياً وجوابه كان على أساس الأصول والمباني الفلسفية التي قد طرحها لإثبات المعاد الجسماني. بحيث أن قبول هذا الموضوع مبني على أساس قبول تلك الأصول، وإن خدش أحد تلك الأصول يؤدي إلى خدش المعاد الجسماني الذي قد طرحه.

**المعاد الجسماني :**

ما هو المُعاد في المَعاد؟ سؤال يراود الجميع، ويمكن إجابته بسهولة عن طريق النقل. فالآيات القرآنية والروايات والأخبار كلها تصرح وتتحدّث بوضوح حول المعاد الجسماني. أما إجابة هذا السؤال عن طريق العقل فهو صعب مستصعب قد عجز عنه كبار الفلاسفة، وأدى إلى استسلام فطاحلهم وتكفير البعض منهم . فالحكيم أبوعلي سينا كمثال قد استسلم أمام هذه المسألة، وسلم بها عن طريق النقل فهو بشجاعة يقول: ((إن المعاد قسمان:الجسماني والروحاني، أما الجسماني فليس لنا طريق لإثباته إلا عن طريق الشرع وقبول خبر النبوة))[٤].

عدم قدرة فلاسفة المشاء من تفنيد الشبهات الواردة على قبول المعاد الجسماني أدى بهم أن لا يؤمنوا عقلياً إلّا بالمعاد الروحاني[٥]. ومن المشكلات المهمة الأخرى والتي كانت سبباً في عدم قدرة ابن سينا وفلاسفة المشاء على بيان المعاد الجسماني عقلياً هي عدم إثبات مرتبة برزخية للنفس، والتي لها دخل تام في إثبات المعاد الجسماني، وإذا هي لم ترافق النفس بعد زوال البدن كالقوة العقلية فلا حور ولا قصور ولا نار ولا زمهرير. وهذه المسألة البالغة الحساسية في إثبات المعاد الجسماني يقول عنها السيد روح الله الخميني الموسوي ((ره)): ((الشيخ الرئيس لم يتمكن من بيان المرتبة البرزخية لحل عقدة المعاد الجسماني، في حين إن إثبات المرتبة البرزخية للنفس لها دور وأثر مهم في إثبات المعاد الجسماني، وبدون إثبات هذه المرتبة لا يمكن إثبات المعاد الجسماني. ولأن الآخرين أيضاً لم يصححوا هذا المسير فلا يوجد قبل ملاصدرا فيلسوف قد أقام البرهان العقلي على إثبات المعاد الجسماني، فملاصدرا هو أول من أقام البراهين العلمية العقلية على إثبات المعاد الجسماني))[٦].

---

[٣] - ابن سينا،الشفاء، الالهيات، تحقيق سعيد زايد، منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٥، هـ ق، ص٤٢٣. وأيضاً النجاة من الغرق في بحر الضلالات، انتشارات طهران، ١٣٦٤ هـ ش، ص ٦٨٢.

[٤] - ابن سينا، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، انتشارات طهران،١٣٦٤ هـ ش، ص٦٨٢.

[٥] - جعفر سبحاني، معاد إنسان والعالَم، مطبعة صدرا، طهران، ١٣٥٨ش، ص ١٧٤.

[٦] - روح الله الخميني الموسوي، معاد أز ديدگاه إمام خميني (المعاد حسب رؤية الإمام الخميني)((ره))، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الثانية، ١٣٧٨ش، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

وحول هذا المطلب الحساس يقول ملاصدرا: إنّ اختلاف الحكماء حول النفوس، وانحصار نشآتها ومراتب وجود الإنسان بالنشأة الحسية الدنيوية والنشأة العقلية الآخروية، مع عدم تفطنهم للنشأة الخيالية جعلهم يعتقدوا بآراء مختلفة حول حشر النفوس، فبعضهم قال بالتناسخ، وبعضهم قال بالعدم والفناء والانحلال[٧]. وأما ملاصدرا فقد أثبت تجرد قوة الخيال، والتي ستكون هي بمثابة القوى الحيوانية المدركة للجزئيات، وهي أيضاً كالقوة العقلية المدركة للكليات ستبقى مع النفس حين ارتحالها إلى عالم الآخرة[٨]، وهذا ما يفسر معاده الجسماني الذي هو مصداق ما جاء في القرآن ((... وإنّ الدار الآخِرَةَ لهي الحيوانُ لو كانوا يعلمون))[٩] .

الحكيم ملاصدرا تعهد بالإجابة العقلية عن مسألة المعاد الجسماني؛ لأنّه لم يقتنع بما جاءت به المدرسة الفلسفية المشائية والإشراقية، فهو يرى أن آراء الشيخ الرئيس وشيخ الإشراق غير كافية لبيان المعاد الجسماني؛ لأنّه ليس مناسباً أن نقول إنّ الجسم البرزخي هو الذي يعاد يوم الآخرة، بل يجب الاعتقاد بعودة الجسم العنصري الدنيوي كما هو، وقد صرح مراراً على أن المُعاد في المَعاد هو الإنسان بعينه كما هو مترسخ عند جميع أهل الأديان[١٠]؛ لأنّ عدم تطابق المعاد المثالي مع المعاد الجسماني، وعدم الاعتقاد بالمعاد العنصري يؤدي إلى إنكار نصوص القرآن الكريم، ولهذا فهو يصر ويؤكد على أنّ المُعاد في المَعاد هو البدن المشخص للإنسان الميت، بحيث من يراه يقول هو بعينه ذلك الشخص الذي كنت أعرفه في الدنيا، ومنكر ذلك يكون منكراً للشريعة، ومنكر الشريعة عقلاً وشرعاً كافر. وكل من يقول إنّ البدن المُعاد في المَعاد هو ذلك البدن الأول ولكن بأجزاء أخرى، فإنّه أيضاً قد أنكر حقيقة المعاد، وهكذا شخص يكون قد أنكر عدداً من نصوص القرآن[١١].

ولأجل إثبات هذا الموضوع قام ملاصدرا بطرح أصولٍ ومبانٍ فلسفية، بحيث أن خدش أي أصل من تلك الأصول يؤدي إلى خدش مَعادهُ الجسماني الذي قد سعى في بيانه. علماً أن عدد هذه الأصول في كتب ملا صدرا يختلف من كتاب إلى آخر، ففي بعض الكتب قد تطرّق إلى تلك الأصول بشكل مختصر مستغنياً عن بعضها، كما فعل ذلك مثلاً في كتاب مفاتيح الغيب[١٢]، حيث تطرّق إلى ستة أصول فقط، وفي كتاب المبدأ والمعاد[١٣] والعرشية[١٤] والشواهد

---

[٧] - صدرالدين الشيرازي، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية تعليق وتصحيح ومقدمة سيد جلال الدين آشتياني، مركز نشر الجامعة، الطبعة الثانية، تصحيح وتعليق سيد جلال الدين آشتياني، ١٣٦٠ ش، ص٢٢٤.

[٨] - صدر الدين الشيرازي ،الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٣ هـ ق – ٢٠٠٢ م ، ج ٨، ص ٢٥٤ و ٢٥٨. وأيضاً صدر الدين الشيرازي، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، المصدر السابق، ص٢٢٦- ٢٢٧

[٩] - سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

[١٠] - صدرالدين الشيرازي، المبدأ والمعاد، ، مكتبة المصطفوي، الطبعة الأولى، قم، مقدمة المبدأ والمعاد، ص٦.

[١١] - صدر الدين الشيرازي ،الأسفار العقلية الأربعة، المصدر السابق، ج٩، ص١٧١. وأيضاً صدر الدين الشيرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ ق – ١٩٩٩م، ج٢، ص ٦٩١. وأيضاً المبدأ والمعاد، المصدر السابق، ص٤٢٩– ٤٣٠. وأيضاً سيد جلال الدين آشتياني، شرح زاد المسافر (المعاد الجسماني) ملا صدرا، مؤسسة مطبوعات أمير كبير، طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ ش، ص٥٥.

[١٢] - صدرالدين الشيرازي، مفاتيح الغيب، المصدر السابق، الجزء الثاني، المفتاح الثامن عشر، المشهد الاول ، ص ٦٨٥ – ٦٨١.

[١٣] - صدرالدين الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ٣٩٥- ٣٨٢.

[١٤] - صدرالدين الشيرازي، العرشية ص ٥١-٤٩.

الربوبية[١٥] قد تطرّق إلى سبعة أصول، أمّا في كتاب زاد المسافر[١٦] فقد تطرّق إلى جميع الأصول حيث كان الأصل الثاني عشر حول الموت الطبيعي (الحتمي) لا الاختراميِ المفاجيء، وهذا الأصل لم يتطرّق إليه ضمن الأصول التي قد ذكرها في كتابه المعروف بالأسفار، لأنّه قد تطرّق إليه في موضوع حكمة الموت.

**أصول ومباني المعاد الجسماني :**

الأصول التي نحن بصددها في الاسفار[١٧] احد عشر اصلاً وكما يلي :

١- أصالة الوجود واعتبارية الماهية (من الأركان المهمة جداً في المدرسة الفلسفية المتعالية لملاصدرا، والتي على أساسها بنى مدرسته).

٢- تشخيص أي شيء بوجوده لا بشيء آخر. فالوجود الخاص بأي شيء هو الذي يميزه عن الاشياءالأخرى. فالوجود والتشخيص متحدان ذاتاً ومتغايران اسماً ومفهوماً، وتشخيص أي موجود عبارة عن مرتبة وجوده الخاص.

٣- التشكيك في الوجود، فالوجود له القابلية على الشدة والضعف، وتختلف الأفراد فيما بينها في الوجود من حيث الشدة والضعف.

٤- قبول الوجود للحركة الاشتدادية، بحيث يمكن القول: إن هذا الشيء أصبح أشد. ومن هنا فإن جميع. الموجودات المادية ذاتاً هي في حالة حركة، بحيث أنها في كل لحظة تصل إلى مراتب وجودية تضاف إلى مراتبها السابقة، وكلما اشتد وجودها أصبحت أكثر إحاطة بالمراتب التي تخلّفت عنها حتى أنها تكون جامعة لها ومحيطة بها. وبعبارة أخرى فإن الإنسان عندما يستطيع أن يطوي المسير الاشتدادي الاستكمالي بصورة تدريجية عن طريقة الحركة الجوهرية فهو في كل مرتبة من مراتبه بالإضافة إلى كمالات هذه المرتبة يملك كمالات المراتب السابقة؛ لأنّه في حركة صعودية يطلق عليها لبس بعد اللبس أي انه لا يخلع ثم يلبس.

٥- شيئية الشيء المركب بصورته لا بمادته، فمثلاً الخشب المتفرق، هل هو تخت من حيث انه خشب؟ لا، بل من حيث صورته فهو تخت وكذلك الحديد هل هو سيف من حيث أنّه حديد؟ لا، بل من حيث أنّه حاد فهو سيف. وكذلك شيئية الحيوان بنفسه لا بجسده؛ لأنّ الجسد في حقيقة الحيوان غير دخيل. ومادة الشيء تكون حاملة لقوة ذلك الشيء. يعني في عالم المادة إذا أردنا أن يكون لنا شيء فإننا نحتاج إلى المادة. ولكن إذا فرضنا صورة الشيء المركب بدون المادة في الواقع فأننا فرضنا حقيقة وتمام الشيء، فالمادة في الواقع إذا

---

[١٥] - صدر الدين الشيرازي، الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، المركز الجامعي للنشر، مشهد ١٣٦٠هـ ش، الطبعة الثانية، تصحيح وتعليق سيد جلال الدين آشتياني، ص ٢٦٢- ٢٦٦ .

[١٦] - سيد جلال الدين آشتياني، شرح زاد المسافر (المعاد الجسماني) ملا صدرا، مؤسسة مطبوعات أمير كبير، طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ ش، ص ١٨٠- ١٦٠ .

[١٧] - صدر الدين الشيرازي ،الأسفار الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٣ هـ ق – ٢٠٠٢ م ، ج ٩ ، ص ١٦٩- ١٦١.

أريد لها أن تحصل، فحصولها محتاج إلى صورة لا تستغني عنها أبداً، أما صورة الشيء فيمكن حصولها بدون مادة، كمثال الصور الذهنية فهي لا تحتاج في حصولها إلى مادة. فإذن الصورة النهائية للشيء هي تمام شيئية وهوية الشيء، ووجود الشيء فعليته وحقيقته، وأمّا حاجته إلى المادة فبسبب نقصانه، وإذا وصل إلى كماله الوجودي المنشود فلا انفعال هناك، ولهذا فهو لا يحتاج إلى مادة.

٦- النفس في وحدتها كل القوى، فالوحدة الشخصية في أي شيء هي عين وجود ذلك الشيء، والوحدة كالوجود من حيث قبول مسألة التشكيك (علماً أنّ القول بتشكيك الوجود من أركان المدرسة الفلسفية المتعالية). وكما أنّ حكم الوجود في عالم المادة غير حكم الوجود في عالم المجردات، كذلك حكم الوحدة في الموجودات المجردة غير حكم الوحدة في الموجودات المادية. فالجسم المادي الواحد لا يمكن له أن يكون موضوعاً واحداً لأوصاف متضادة، يعني الشيء الواحد لا يمكن له أن يكون في آنٍ واحدٍ أسوداً وأبيضاً وحلواً ومرّاً وعذاباً ولذةً، وذلك بسبب نقص الوجود وضيق ظرفيته بالنسبة إلى المادة. وهذا الشيء على عكس ما هو موجود في الجوهر النفساني الذي يمكن له أن يحمل تلك الصفات، وكلما ازداد تجرده ازدادت إحاطته بالأشياء واكتمل من حيث الكمال في جميع الأمور المتخالفة ليصل إلى احتواء سعة العالم فتصبح النفس عالماً عقلياً شبيه العالم الخارجي. وفي هذه الحالة فانه سيشاهد الخير والجمال المطلق، وسيكون مدركاً لجميع مراتب الإدراك الحسي والخيالي والعقلي، وفاعلاً لجميع الأفعال الطبيعية والحيوانية والإنسانية وهو النزول الذي يتنزل إلى مرتبة الحواس والآلات الطبيعية، والصعود الذي يصل إلى العقل الفعال وما فوقه، وكل ذلك في آن واحد. وهذا كله بسبب سعة الوجود ووفور نوره المنتشر الذي يتسع للأطراف والأكناف بإذن الأمر الإلهي. إن هذا الأصل يبين أن الشيء الواحد يمكن له أن يكون وجوده متعلقاً بالمادة بنحو من الكيفيات وبنحو آخر يكون مجرداً عنها.

٧- هوية البدن وتشخيصه وتعينه بنفس صاحب البدن وليس بجرم بدنه، ولهذا السبب ما دامت النفس باقية في البدن فأن وجود وتشخيص الإنسان مستمر حتى مع تغيرت أجزاء البدن من حيث الكمية والكيفية. ومن هنا فإن هوية الإنسان في جميع التحولات، أي عندما تتحول الصورة الطبيعية الى صورة مثالية في حالة النوم او في عالم القبر والبرزخ او إلى الصورة التي تكون في عالم القيامة، فإنّ النفس هي الواحدة الثابتة، والتي تعتبر الصورة الكاملة للانسان، وهي منبع القوى والآلات والاعضاء، وهي الحافظة لجميعها عندما تكون في الدنيا. فاذا قيل لشاب هل انت الذي كنت طفلاً وسوف تشيب؟ جواب الشاب سيكون بنعم؛ لانّ تشخيص بدنه بنفسه، وتشخيص النفس بوجودها.

٨- تجرد الخيال المسمى بالتجرد البرزخي، وتحققه في عالم ما بين العالم الطبيعي والعالم العقلي. حيث أن قوة الخيال قوة جوهرية غير قائمة في محل البدن واعضاء البدن وليست في جهة من الجهات الموجود في العالم، بل هي مجردة عن هذا العالم مستقرة في وسط العالمين يعني عالم الطبيعيات المادية وعالم

المفارقات. وهذه القوة عند الموت تحس بسكرات ومرارة موت البدن؛ لأنّها قد انغمست وتعلقت في جميع الاجزاء المادية للبدن، وهذه القوة بعد الموت والانفصال عن البدن تبقى متخيلة للبدن الذي قد كان في عالم الدنيا.

٩- القيام الصدوري للصور الخيالية والادراكية بواسطة النفس، فالصور الخيالية والادراكية غير حالة في النفس أو في محل آخر بل هي قائمة بوجود النفس، كقيام الفعل بالفاعل. ومادامت النفس متعلقة بالبدن فالاحساس من قبيل الرؤية والسمع وغيرهما جميعاً غير التخيل؛ لانه في الاحساس هناك احتياج الى المادة الخارجية، وأما في التخيل فلا حاجة الى الشرائط المادية. وعندما يطوى هذا العالم يعني ما بعد الموت حينئذ لافرق بين التخيل والاحساس، وجميع المتخيلات تصبح كالمحسوسات لانّ الخيال خزين الحس، حيث أنّ هذا الاحساس يشتد إلى أوجه لارتفاع غبار البدن واتحاد القوى وعدم تفرقها، بحيث ليس هذا حساً وذلك خيالاً بل جميعها ترجع إلى المبدأ المشترك لهما. والنفس بقدرة الخيال تؤدي جميع الأمور التي كان يؤتى بها من قبل القوى الاخرى.

١٠- كما إن الصور والمقادير والاشكال وغيرها تحصل من الفاعل عن طريق مشاركة المادة بحسب استعدادتها وانفعالاتها كذلك فأنها من حيث الجهات الفاعلية والحيثيات الادراكية تحصل بدون مشاركة المادة حيث أن النفس إذا اهتمت بقوة الخيال فسوف يصدر عنها صور في منتهى القوام والتأكد، بحيث أن تأثيرها يكون أشد من تأثير المحسوسات المادية على النفس. وهذا ما يحصل عند أهل الكرامات وأولياء الله تعالى، حيث أن هولاء على الرغم من وجودهم في هذه الحياة الدنيا فهم يستطيعون بدون الحاجة الى المادة وشرائطها ايجاد الاشياء في الخارج.

١١- نشآت العالم رغم جميع الكثرات يمكن حصرها في ثلاث نشآت على الرغم من أنّ دار الوجود واحدة من حيث ارتباط بعض العوالم بالبعض الآخر، وهذه النشآت الثلاثة هي عالم الصور الطبيعية وعالم الصور الإدراكية الحسية المجردة عن المادة وعالم الصور العقلية والمُثل الإلهية . ومن بين جميع الموجودات الإنسان عن طريق الحركة الجوهرية الإشتدادية الذاتية ينتقل من مرحلة إلى أخرى، حتى يصل إلى الغاية القصوى المخصوصة للإنسان .

**نتيجة الأصول والمباني**

بعد التدبير والتأمل في طرح الأصول الفلسفية، ملاصدرا يصل إلى نتيجة مفادها أن البدن بعينه يحشر يوم القيامة، والمُعاد في المَعاد هو مجموع البدن والنفس عيناً وشخصاً[١٨]، فطبق الأصل الثامن من الأصول والمباني الحاكي عن قوة الخيال في أنها غير مادية بل إنها إشراق من إشراقات النفس. لذا فإن النفس بعد مفارقة البدن العنصري دائماً تبقى في تخيله، وعلى أساس هذا التخيل يصدر بدن من قبل النفس مطابقاً للبدن الدنيوي، وهذا البدن

[١٨] - صدرالدين الشيرازي ، ج٩ ،ص ١١٧.

مخلوق النفس متحدٌ معها. وهذا الاعتقاد الصحيح مطابق للشريعة وموافق للبرهان والحكمة، ومن يصدق بذلك فهو مؤمن بيوم الجزاء ونقصان الإيمان بهذه المسألة بمعنى ضعف المعرفة الصحيحة وقول بتعطيل أكثر القوى والطبائع من الوصول إلى غايات كمالاتها، ويلزم من هذا كله بطلان هدف الوجود ألا وهو التوجه إلى ما فوق. في حين أنّ لكل قوة من قوى النفس كمالاً مخصوصاً لها ولذة ملائمة لها وألماً متنافراً معها، بحيث أن الجزاء يكون على أساس الأمور التي اكتسبها وأداها. كما أن الحكماء قد اثبتوا أن جميع المبادئ والقوى الطبيعية لا تكون بدون هدف إن كانت سافلة أو عالية كما جاء في القرآن (( ولكلٍ وجهة هو موليها ))[١٩] وأيضاً ((... ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ))[٢٠] مما يدل على أن العود والمعاد يكون لجميع الموجودات حتى الجماد والنبات؛ لأنّ جميع ما في الطبيعة لا يترك بل متوجه نحو المبدأ الذي قد صدر منه ويكون حشر أي شيء من تلك الموجودات متناسباً ومتجانساً مع وجود ذلك الشيء. بحيث أن حشر الإنسان كلاً حسب لياقته يختلف مع حشر الشيطان والجماد والنبات كما جاء في قوله تعالى (( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ))[٢١]، وحول حشر الشياطين جاء في قوله تعالى ((فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا))[٢٢] وحول حشر الوحوش جاء في قوله تعالى (( وإذا الوحوش حشرت ))[٢٣] ((... وان الله يبعث من في القبور ))[٢٤] وأيضاً ((إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ))[٢٥] والكلام الأخير حول هذه المسألة لقوله تعالى (( ... كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ))[٢٦].

**شبهات المنكرين للمعاد الجسماني والرد عليها:**

قد أشكل المنكرون بإيراد الشبهات على المعاد الجسماني. وملاصدرا قد سعى بالرد عليها وتفنيدها.

**أ- شبهة الآكل والمأكول[٢٧] :**

عندما يأكل الإنسان إنساناً آخر، بحيث أن أجزاء المأكول تتحول إلى أجزاء الآكل، وفي هذه الحالة سوف يحشر الإنسان الآكل مع أجزاء المأكول، والإنسان في الآخرة سيكون واحد، وبالإضافة إلى ذلك ولزيادة قوة الإشكال، عندما يأكل الإنسان الكافر بدن المؤمن، ففي هذه الحالة إذا كان المحشور هو بدن الكافر الذي سوف يعذب، فيلزم من ذلك تعذيب بدن المؤمن وإذا أثيب الكافر لأجل بدن المؤمن فيلزم من ذلك تنعم الكافر المحشور وهو محال.

[١٩] - سورة البقرة آية ١٤٨ .
[٢٠] - سورة هود ، آية ١٤٨ .
[٢١] - سورة مريم ، آية ٨٦،٨٥ .
[٢٢] - سورة مريم ، آية ٦٨ .
[٢٣] - سورة التكوير ، آية ٥ .
[٢٤] - سورة الحج ، آية ٧ .
[٢٥] - سورة مريم ، آية ٤٠ .
[٢٦] - سورة الأنبياء ،آية ١٠٤.
[٢٧] - صدر الدين الشيرازي، الأسفار العقلية الأربعة ، ج ٩ ، ص ١٧٤- ١٧٣.

**الجواب :** مع التوجه إلى الأصل الذي قد سبق توضيحه فإنّ تشخيص أي شخص بنفسه لا ببدنه، والبدن في هذه الحياة الدنيا دائماً في تغيير، والنفس بشكل عام محتاجة إلى بدن مبهم وهي سبب في تحصله، وبالإضافة إلى ذلك فأن الإيمان والكفر من صفات النفس لا من صفات الجسم ، والنفس غير قابلة للأكل، والمأكول هو جسم المؤمن لا نفسه. فإذن نفسه باقية وسوف تحشر مع بدن مطابق للأعمال الدنيوية.

ب- **شبه محدودية مقدار جرم الأرض**[٢٨] :

مقدار جرم الأرض محدود ومتناهٍ، فإذا كان للنفوس معاد جسماني في هذه الحالة سوف يكون لكل نفس بدن، ولأنّ النفوس غير متناهية فالأبدان أيضاً غير متناهية، فالسؤال هنا، هو كيف يمكن أن تكون الأبدان غير المتناهية في الأرض المحدودة المتناهية.

**الجواب :** الشيء الذي قد وضحناه سابقاً بأنّ الأبدان الآخروية تنشأ من النفوس وتظهر على حسب صفات تلك النفوس. ولا يمكن أن تتواجد الأبدان الآخروية من المادة الدنيوية؛ لان الذي قد وصل إلى مراحل التجرد لا يتنزّل ويبدأ بطي المراحل من جديد ليصل إلى التجرد مرة ثانية، وبالإضافة إلى ذلك فأن الأرض لا تحشر بخصوصياتها الدنيوية المستلزمة للحدود والقيود بل إن المحشور يوم الآخرة هو صورة الأرض. إذن الأرض سوف تكون غير هذه الأرض، كما جاء في قوله تعالى ((يوم تبدل الأرض غير الأرض ...))[٢٩] وأيضاً حول سعة الأرض للأولين والآخرين قال تعالى ((قل إنّ الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم))[٣٠].

ج- **شبهة مكان الجنة والنار**[٣١] :

إذا كانت الجنة والنار موجودتين، فوجودهما في أي مكان من العالم، وفي أي جهة من جهات العالم فهل هما فوق، وقد حددت جهتهما، ولكن إذا كان الأمر كذلك فسيلزم وجود المكان في اللا مكان ووجود الجهة في اللاجهة، أو أن هناك خلأ بين الأرض والسماء يكون هو مكاناً للجنة والنار. ولكن هذه المسألة تختلف بشكل كامل مع سعة الجنة التي وصفت في القرآن((...وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض...))[٣٢].

**الجواب :** شأن عالم الآخرة أجل من أن يوصف بمكان وزمان لأنّه كامل وتام، والجنة والنار هما باطن العالم الدنيوي كما إن النفس هي باطن البدن المحسوس. ومن حيث الوضع والمقدار لاتوجد نسبة بين ذلك العالم وهذا العالم. فذلك العالم مجرد، وهذا العالم مركب من العناصر المادية. وما كان وراء الزمان والمكان الدنيوي لا يمكن له أن يدرك ذلك العالم. أما طريقة الاطلاع على ذلك العالم فهو عند الله وعند أوليائه؛ لان القوى الحسية الدنيوية مقيدة بالزمان

[٢٨] - نفس المصدر، ج ٩، ص١٧٤.
[٢٩] - سورة إبراهيم ، آية ٤٨.
[٣٠] - سورة الواقعة ، آية ٤٩- ٥٠.
[٣١] - صدر الدين الشيرازي ، الأسفار العقلية الأربعة، ج٩ ، ص١٧٥.
[٣٢] - سورة الحديد ، آية ٢١.

والمكان الدنيوي فليس لها صلاحية إدراك أمور الآخرة، لأنها أسرار غيبية عن هذا العالم البشري ومادام الإنسان في هذه الدنيا أسيراً للرغبات والشهوات والوهم فلا يمكن له أن يحصل على الإحاطة بذلك العالم. فالذين يسألون عن مكان وزمان الآخرة قد غفلوا عن عالم الآخرة ولم يتفطنوا إلى أنّه خارج عن الزمان والمكان المادي، بل إنّه ما وراء الزمان والمكان. وحول هذه المسألة يقول ملا صدرا: إن هذه التوضيحات حول شبهة المكان والزمان للجنة والنار لأولئك الظاهريين السطحيين لا لأجل العقلاء لأن العقلاء قد أجمعوا على أن الدنيا غير الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية، أما بقاء الآخرة فبسبب التجرد، ولهذا فان حقيقة الآخرة ما وراء الزمان والمكان ولا معنى للسؤال عن زمان ومكان الآخرة. وخلاصة هذا الأمر كما أنّ الأعمى لا يدرك الألوان نحن أيضاً إذا لم نخرج من حجاب الدنيا ولم نتحرك نحو الله حتماً سوف لا نعرف حقيقة الآخرة.

د- **شبهة التناسخ**[٣٣]:

إذا قبلنا المعاد الجسماني وجيء بالبدن الدنيوي للحشر يوم الآخرة فإنّ وصول هذا البدن إلى حد الاعتدال يقتضي إفاضة النفس عليه من قبل فياضية العقل الفعال. وعليه فإنّ هذا البدن في المعاد سوف يمتلك نفسين، أحدهما نفسه المعادة، والأخرى المفاضة عليه من قبل العقل الفعال، وسيلزم من ذلك أن البدن يكون ذا نفسين أحدهما نفسه الدنيوية، والأخرى النفس المفاضة عليه، وهذا ما سيؤدي إلى التناسخ، والتناسخ باطل عقلاً .

**الجواب** : النفس في المحشر بأذن الله وعلى أساس فاعليتها وخلاّقيتها تُوجد الأبدان الآخروية وليست الأبدان الآخروية مثل الأبدان الدنيوية المادية التي تكون مستعدة لإفاضة النفس عليها من قبل فياضية العقل الفعال. فإذن لا يلزم من ذلك تناسخ من هذا القبيل.

**النتيجة:**

عدم قدرة السابقين من تفنيد الشبهات الواردة على المعاد الجسماني جعلت ملاصدرا يطرح تلك الشبهات بدقة وقيم البرهان العقلي على تفنيدها. من المشكلات التي كانت سبباً في عدم قدرة السابقين على بيان المعاد الجسماني عقلياً هي عدم بيان وإثبات مرتبة برزخية للنفس، والتي لها دخل تام في إثبات المعاد الجسماني، وإذا هي لم ترافق النفس بعد زوال البدن كالقوة العقلية فلا حور ولا قصور ولا نار ولا زمهرير، وهذه المسألة بالغة الحساسية في إثبات المعاد الجسماني. أمّا ملاصدرا فقد بينها وأثبت تجرد قوة الخيال التي ستكون هي بمثابة القوى الحيوانية المدركة للجزئيات، وهي أيضاً كالقوة العقلية المدركة للكليات ستبقى مع النفس حين ارتحالها إلى عالم الآخرة، وهذا ما يفسر معاده الجسماني الذي هو مصداق ما جاء في القرآن الكريم.

[٣٣] - نفس المصدر ،ج٩ ، ص١٧٨.

اهتم ملاصدرا كثيراً بالمعاد الجسماني؛ لأنّه من أركان الدين الرئيسية، وهو عصارة ما جاء به الأنبياء والمعصومين ((عليهم السلام))، وبالإضافة إلى أنّه موضوع مهم يحتل ما يقارب ثلثي آيات القرآن. فملاصدرا لم يقتنع بما جاءت به المدرسة الفلسفية المشائية والإشراقية، فهو يرى أن آراء الشيخ الرئيس وشيخ الإشراق غير كافية لبيان المعاد الجسماني؛ لأنّه ليس مناسباً أن نقول بإنّ الجسم البرزخي هو الذي يُعاد يوم الآخرة، بل يجب الاعتقاد بعودة الجسم العنصري الدنيوي كما هو راسخ عن أهل الأديان. ويعتقد ملاصدرا بعدم تطابق المعاد المثالي مع المعاد الجسماني، وعدم الاعتقاد بالمعاد العنصري يؤدي إلى إنكار نصوص القرآن الكريم، ولهذا فهو يصر ويؤكد على أنّ المُعاد في المَعاد هو البدن المشخص للإنسان الميت، بحيث من يراه يقول هو بعينه ذلك الشخص الذي كنت أعرفه في الدنيا، ومنكر ذلك يكون منكراً للشريعة، ومنكر الشريعة عقلاً وشرعاً كافر. وكل من يقول إنّ البدن المُعاد في المَعاد هو ذلك البدن الأول ولكن بأجزاء أخرى، فإنّه أيضاً قد أنكر حقيقة المعاد، وهكذا شخص يكون قد أنكر عدداً من نصوص القرآن. ولهذه الأسباب أجهد ملاصدرا نفسه في إثبات عينية المُعاد في المعاد، فقام بطرح أصولٍ ومبانٍ فلسفية، بحيث أن خدش أي أصل من تلك الأصول يؤدي إلى خدش مَعادهُ الجسماني الذي قد سعى في بيانه. علماً أن عدد هذه الأصول في كتب ملا صدرا يختلف من كتاب إلى آخر.

**المصادر**


١- القرآن الكريم

٢-أبو علي سينا، الإشارات والتنبيهات ، الطبعة الأولى، نشر البلاغة، قم، ١٣٧٥ هـ ش.

٣-ابن سينا، الشفاء، الإلهيات، تحقيق سعيد زايد، منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٥، هـ ق.

٤-ابن سينا، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، انتشارات طهران،١٣٦٤ هـ ش.

٥-الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر، دار الهداية، ١٣٩هـ.

٦-جعفر سبحاني، معاد الإنسان والعالم، مكتبة صدرا، طهران،١٣٥٨ هـ ش.

٧-روح الله الخميني الموسوي، معاد أز ديدگاه إمام خميني (المعاد حسب رؤية الإمام الخميني)((ره))، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الثانية، ١٣٧٨ش.

٨-سيد جلال الدين آشتياني، شرح حال وآراء ملاصدرا الفلسفية، مطبعة خراسان، مشهد، ١٩٥٨.

٩-سيد جلال الدين آشتياني، شرح زاد المسافر (المعاد الجسماني) ملا صدرا، مؤسسة مطبوعات أمير كبير، طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ ش.

١٠- صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٣ هـ ق- ٢٠٠٢ م.

١١- صدر الدين الشيرازي، تفسير سورة السجدة، مطبوعات اليقظة، قم، ١٣٦١هـ ش.

١٢- صدر الدين الشيرازي، شرح الهداية الاثيرية، مؤسسة المطبوعات الثقافية، طهران، ١٣٦٦هـ ش .

١٣- صدر الدين الشيرازي، العرشية، انتشارات مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-ـ لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ ق -ـ ٢٠٠٠م.

١٤- صدر الدين الشيرازي،الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية تعليق وتصحيح ومقدمة سيد جلال الدين آشتياني، مركز نشر الجامعة، الطبعة الثانية،١٣٦٠ هـ ش.

١٥- صدر الدين الشيرازي، المبدأ والمعاد، مكتبة المصطفوي، الطبعة الأولى، قم.

١٦- صدر الدين الشيرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ ق – ١٩٩٩م.